

سورة آل عمران

﴿آلَة﴾ الحروف المقطّعة

للإشارة إلى إعجاز القرآن ﴿لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحق إلا هو

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الدائم الذي لا

يموت، القائم على تدبير شؤون

الكون ﴿لَا يَأْتِيهِ يَدِينُ﴾ مصدق لما

سبقه من الكتب السماوية ﴿وَأَنزَلَ

الْفُرْقَانَ﴾ القرآن العظيم الفارق بين

الحق والباطل ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

غالب لا يُغلب، منتقم ممن

عصاه ﴿لَا يَخْفَى﴾ لا يغيب

﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾ يخلقكم في أرحام

أمهاتكم كما يشاء ﴿تُحْكِمُكُمْ﴾

واضحات الدلالة ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾

أصل الكتاب وأساسه ﴿وَأَنزَلَ

مُتَنَبِّهَةً﴾ آيات أخرى خفيات

استأثر الله بعلمها ﴿زَيِّجٌ﴾ ميل

عن الحق ﴿إِنشَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلباً

لفتنة الناس في معتقدهم

﴿تَأْوِيلُهُ﴾ تفسير المتشابه ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون المتمكنون في العلم ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ كلٌّ من

المحكم والمتشابه حقٌ وصدقٌ لأنه كلام الرحمن ﴿لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا﴾ الرِّغْبُ: الميلُ أي لا تُملها عن

الحق والهدى، وكان ﷺ يقول: «اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» رواه

الترمذي.. نزل صدر هذه السورة في وفد (نصارى نجران) قدموا المدينة المنورة، وجادلوا

الرسول ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، فقال لهم ﷺ: ألسنتم تعلمون أن الله حي لا يموت،

وأن عيسى يموت؟ وأن ربنا قَيُّمٌ على العباد، يحفظهم ويرعاهم ويرزقهم، وأن عيسى كان يأكل

ويشرب ويحدث الحديث، وأن ربنا منزّه عن ذلك كله؟ فكيف يكون عيسى إلهاً كما زعمتم؟

فنزلت السورة، تفسير ابن كثير.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

الْمِائَةُ الثَّالِثَةُ

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأَمْرُ ١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٣ مِنْ

قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ٤ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ

شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٥ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ

فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦ هُوَ

الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ

مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ

إِلَّا أُولَؤُلُو الْأَلْبَابِ ٧ رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ

لَنَا مِنْ لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٨ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ

النَّاسِ يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ٩

الجزء الثالث

سورة التوبة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابٌ بَالٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُوتٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْسُ إِلَيْهَا ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَاتِيْنِ تَقَاتَلَتَا فَنَقَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُنَّ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوَيْتِكُم بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿لَنْ تُغْنِيَ﴾ لن تنفعهم الأموال والأولاد ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ حطب جهنم الذي تُوقد به ﴿كَذَابٌ بَالٍ فِرْعَوْنُ﴾ شأن الكفار وعادتهم كحال وشأن آل فرعون ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أهلكهم الله بسبب كفرهم ومعاصيهم ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تُجمعون وتساقون إلى جهنم ﴿وَيُنْسُ إِلَيْهَا﴾ ينس الفرش الذي تفترشونه نار الجحيم ﴿آيَةٌ﴾ عِظَةٌ وعبرة ﴿فِئَتَيْنِ اللَّتَاتِيْنِ﴾ طائفتين التقتا على القتال ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُنَّ﴾ يرى المؤمنون الكفار أكثر منهم وضعفهم، رؤية ظاهرة للعين، لا بالخيال ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب العقول السليمة ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ المشتهايات للنفس بالطبع ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ الأموال المكدسة من الذهب والفضة ﴿وَالْحَرْثُ﴾ أنواع الزروع والنبات ﴿حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ حسن المرجع والثواب ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ زوجات منزّهة عن كل ما يُستغدر، من (الحيض، والبول، والغائط) لا يعترهنّ ما يعترى نساء الدنيا من الخَبَثِ والذَّنَسِ.

سبب النزول: لما انتصر رسول الله ﷺ على المشركين في (غزوة بدر) جمع اليهود في المدينة المشورة، فقال لهم: أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً!! إنكم تعلمون أنني نبي مرسل، فقالوا: يا محمد، لا يُغَرِّتُكَ من نفسك، أنك قاتلت نفرأ من قريش، كانوا أغماراً لا علم لهم بالحرب!! إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الرجال، وأنك لن تلقى شجعاناً مثلنا!! فأنزل الله على رسوله ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُوتٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْسُ إِلَيْهَا﴾ رواه البيهقي.

المعاني والآيات

مُؤَوَّلَاتُ الْكَلِمَاتِ

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْقَنِينِ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بَيِّنَاتٍ
اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجَّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ
وَجْهِيَ اللَّهِ وَمَنْ أَتَّبِعْ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ
أَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلِمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿وَالْقَنِينِ﴾ المطيعين لله
الخاصعين لعظمته وجلاله ﴿شَهِدَ
اللَّهُ﴾ بَيَّنَّ تعالى لخلقه بالدلائل
والبراهين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أنه لا
معبود في الوجود بحقٍ إلا هو
سبحانه ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ مقيماً للعدل
في كل أمر ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيزُ
في ملكه، الحكيم في صنعه ﴿إِنَّ
الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾ السَّالِمِينَ
المرضين عند الله هو الإسلام، لا
يقبل الله من العباد سواه، وفي
الحديث الشريف: «والذي نفسي
بيده، لا يسمع بي أحد من هؤلاء،
يهودِيٍّ ولا نصرانيٍّ ثم لا يؤمن
بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار»
رواه مسلم ﴿بَيِّنَاتٍ بَيْنَهُمْ﴾ حسداً
وطلباً للرياسة ﴿أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾
استسلمت وأخلصت نفسي لله
وحده ﴿وَالْأُمِّيَّةَ﴾ مشركي العرب
﴿بِقِسْطٍ﴾ بالعدل ﴿حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت أعمالهم

وذهب ثوابها، وليس لهم من ينصرهم من عذاب الله، واستعمالُ البشارة في العذاب: للسخرية
والتهكم، كقوله سبحانه: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أما تخصيصُ الأسحار بالاستغفار
﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ فلا بُدَّ الدعاء أقرب إلى الإجابة، لأن النفس تكون أصفى، والروح تكون
أجمع، والعبادة تكون أشق، فكانت أقرب إلى القبول والإجابة.

قال الحافظ ابن كثير: كان (عبد الله بن عمر) يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع، هل جاء
السَّحَرُ؟ فإذا قال نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح!! ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ضاعت
وذهبت أعمالهم الصالحة بسبب الكفر ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ليس لهم من ينصرهم وينجيهم
من عذاب الله.

الْمَائِدَةُ

سُورَةُ التَّغْوِيَاتِ

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ فِرْقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ
 فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمُوهُمْ
 يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ
 مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
 مَنْ تَشَاءُ يُبْدِكَ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَبَرِّزُ قُلُوبَ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
 لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 تُقَّةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
 إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي
 السَّمْعَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يُراد بهم أخبار اليهود ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ يدعون إلى التوراة لتفصل بينهم ﴿يَتَوَلَّوْنَ فِرْقًا مِّنْهُمْ﴾ يعرضون عن قبول حكم الله، نزلت في اليهود، زنى منهم اثنان، فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ فحكم عليهما بالرجم، فأبوا وقالوا: لا نجد في كتابنا إلا التحميم، وأبوا أن يقبلوا بحكم التوراة، فنزلت الآية ﴿تَمَسَّنَا أَنْتَ﴾ ذلك الإعراض لزمعهم أن الله لن يعذبهم إلا أياماً قلائل ﴿يَفْتَرُونَ﴾ خدعهم وأطمعهم كذبهم على الله ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ﴾ تسلب الملك ممن تريد إذلاً لهم ﴿يُبْدِكَ الْخَيْرَ﴾ بيدك وحده التصرف في شؤون الكون ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ تزيد في طول النهار وتنقص من الليل، وبالعكس ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الزرع من الحب، والنخلة من النواة ﴿تُقَنِّةً﴾

أن تخافوا من جهنم شيئاً . ولما فتح رسول الله ﷺ مكة، وعد المسلمين بملك فارس والروم، فقال اليهود: هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم؟! فنزلت الآية ﴿قُلِ اللَّهُمَّ تَبَّكَ الْمُلُوكُ . . .﴾ الآية .

أشارت الآية الكريمة: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ . . .﴾ إلى القدرة الإلهية الباهرة، فإن تغيير نظام الحياة، بإدخال الليل في النهار، والنهار في الليل، حيث يطول الليل، وينقص النهار شتاءً، وبالعكس، برهاناً ساطع على وجود متصرف في الكون حكيم، كما أن إخراج النخلة من النواة، والإنسان من النطفة، بحيث تتوالد الحياة من الميت إلى الحي، ومن الحي إلى الميت، في دورة دائبة دائمة، أعظم برهان على عظمة الخالق المبدع جلّ جلاله!!

سورة النذر

المائة الثالثة

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَاعَمِلَتْ
 مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ
 اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
 فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿٢١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
 وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
 مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
 وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ
 وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ
 وَذَرِّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
 حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
 زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُمَ إِنِّي لِلَّهِ هَذَا
 قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُ مِنْ شَيْءٍ بَعِيرٍ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

الحزب
٩

﴿تَحْضَرُ﴾ حاضراً مشاهداً لها في
 صفح الأعمال **أَمَدًا بَعِيدًا** غاية
 في نهاية البعد ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ
 نَفْسَهُ﴾ يخوفكم عقابه وعذابه
 ﴿رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ رحيم بالخلق
 ﴿اصْطَفَى﴾ اختار للنسبوة
 ﴿وَأَلَّ عِمْرَانَ﴾ أهل عمران
 ﴿عَلِيٌّ﴾ عيسى وأمه مريم ﴿عَلِ
 الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا
 مِنْ بَعْضٍ﴾ هم صنف واحد في
 الخير والصلاح ﴿مُحَرَّرًا﴾ صافياً
 مخلصاً للعبادة وخدمة بيت
 المقدس ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ في
 الخدمة، فالذكر يُقصد للخدمة،
 والأنثى لا تصلح لضعفها وأنوثتها
 ﴿أُعِيذُهَا﴾ أجيئها بحفظك
 وأحفظها بجلالك ﴿الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾
 الشيطان المطرود من رحمة الله
 ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ رباًها تربية فاضلة على
 الدين والاستقامة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾
 جعل زكريا كافلاً لها متعهداً

لمصالحها ﴿أَنَّ لِلَّهِ هَذَا﴾ من أين لك هذه الخيرات والأرزاق؟ ﴿يَمْرِؤُمَ حِسَابٍ﴾ من غير عد ولا
 نهاية، قال مجاهد: كان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء، وفي الشتاء فاكهة الصيف، فلذلك
 استغرب أمرها.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ سبب هذا النذر، أن «حنّة» امرأة عمران، كانت
 عجوزاً وعقيماً، لا يأتيها ولد، فبينما هي ذات يوم تحت ظل شجرة، رأت طيراً يُطعم فرخه،
 فاشتتهت الولد وتمنّته، وقالت: اللهم إن لك عليّ نذراً، إن زوّقني ولداً، أن أحبه لبيت
 المقدس، ليكون خادماً له، وتوفي زوجها «عمران» وهي حامل، فلما ولدت بمريم قالت:
 ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ على سبيل التحسر والاعتذار، فهذا سرُّ النذر.

المرآة الثالثة

سورة التفسير

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ^{٢٧} قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ^{٢٨} فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيحْيٍ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ ^{٢٩} قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ^{٣٠} قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادُّكُرَ ^{٣١} رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ^{٣٢} وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ^{٣٣} يَمْرَيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ^{٣٤} ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهِمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ^{٣٥} إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَدْعُوكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ^{٣٦}

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك الوقت والمكان، دعا زكريا ربه متوسلاً ومتضرعاً إليه ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ اِرزقني من فضل رحمتك وجودك، ولداً صالحاً مباركاً ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ﴾ بشره جبريل ﴿قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ يصلي ويتعبد ربه ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ﴾ مصدقاً برسالة «عيسى» الذي خلقت بكلمة «كن» من غير أب ﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه ويفوقهم ﴿وَحَصُورًا﴾ يحبس نفسه عن الشهوات عفة وزهداً، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك، وليس كما ظنَّ البعض أنه كان (عنبياً) فهذا نقص ودم، والآية مديح له وثناء ﴿وَأَمْرًا نَافِئًا﴾ عقيم لا تلد ﴿آيَةً﴾ علامة على حمل امرأتي ﴿إِلَّا رَمْرًا﴾ علامتك ألا تستطيع الكلام إلا بالإشارة،

ثلاثة أيام بليليتها ﴿أَنْتَ الْغَيْبُ﴾ الأخبار الغيبية الهامة ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاهٍ وقدرٍ وشرف ﴿الْمُقَرَّبِينَ﴾ من أهل المكانة والقرب عند الله تعالى، وعيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل، وقد أظهر الله بمولده عجائب قدرته، وباهر حكمته.

قال الحافظ ابن كثير: اعلم أن ثناء الله على (يحيى) أنه كان حصوراً، ليس كما قاله بعضهم أنه كان عنبياً - أي لا يستطيع إتيان النساء - لأن هذه نقيصة وعيب، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب، أو يمنع نفسه من الشهوات كأنه يحصر نفسه، لأن عدم القدرة على النكاح نقص، والآية وردت مورد الثناء، والفضل في كون الشهوة موجودة فيه، ثم يمنعها بالمجاهدة عفة وزهداً. اهـ ابن كثير.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّبِّ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَذَلِكَ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَوْمَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُن لَكُمْ فِتْنَةٌ أَنتَ أَتَى بِكُم مِّنَ الطِّينِ فَانفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَرَى الْأَكْصَفَ وَالْأَنْبُرَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْتَ لَكُم مِمَّا تَكْفُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِحُجَّةٍ لِّكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا إِنَّ اللَّهَ رَفِيعٌ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّهُ مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ
التَّوْبَةِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ يكلمهم وهو طفل صغير قبل أوان الكلام وهذه معجزة ﴿وَكَهْلًا﴾ ويكلمهم وهو كبير السن، وفي الآية إشارة إلى نزول عيسى في آخر الزمان، لأنه رفع إلى السماء وهو شاب ﴿وَلَمْ يَكُن لَّكَ فِتْنَةٌ﴾ لم يقربني أحد فكيف يأتيني ولد؟ ﴿وَيَعْلَمُ الْكِتَابُ﴾ يعلمه الكتابة دون معلم ﴿وَالْأَنْبُرَ﴾ الفقه والساد في الرأي ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ تِلْكَ إِسْرَءِيلَ﴾ ويرسله رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالمعجزات التي أئدني الله بها ﴿أَنْتَ لَكُم مِّنَ الطِّينِ﴾ أصور لكم من الطين مثل صورة الطير ﴿وَتَرَى الْأَكْصَفَ﴾ الأعمى ﴿وَالْأَنْبُرَ﴾ العزب ﴿بِمَا تَكْفُرُونَ﴾ وأخبركم بكثير من المغيبات من المطاعم والمشارب في بيوتكم ﴿أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ عرف وتحقق كفر اليهود وإرادتهم قتله

﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من ينصروني لتبليغ دعوة الله؟ ﴿الْخَوَارِثُ﴾ المؤمنون الأصفياء، وهم كالصحابا لرسول الله ﷺ، وما من نبي إلا وله أتباع وأنصار، وأكثرهم أصحاباً خاتم المرسلين!! وتكلم سيدنا عيسى عليه السلام وهو طفل رضيع، إحدى معجزاته عليه السلام، وقد كانت أول كلمة نطق بها ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ومن العجيب في أمر النصاري أنهم مع حرصهم الشديد، على ذكر خوارق عيسى ومعجزاته، لم يذكروا هذه المعجزة، وحذفوها من الأناجيل، لأنها تنقض أساس معتقدهم في (الوهية المسيح) وثبت عبوديته لله تعالى، وهذا من جملة الافتراء على الله.

سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَاتٌ

الْمُرْتَابِ الْبَشَرِ

رَبَّكَ ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا لِلَّهِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَكْرِينَ ﴿٩٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِهِمْ فَأَحْكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٩٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٩٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٠٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَهُمْ وَأُنِسَاءَنَا وَنِسَاءَهُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَهُمْ لَنُنبِتَنَّهُمْ فَنَجْعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١٠١﴾

﴿مَكْرُؤًا﴾ مكر اليهود الخبيث بعيسى وأرادوا قتله ﴿وَمَكْرًا لِلَّهِ﴾ ونجاء الله من شرهم ورفعوه إلى السماء، دون أن يُمنَّ بأذى، ساء مكرًا من باب التشابه باللفظ مع الاختلاف في المعنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك إلي بروحك وجسدك، فهي وفاة قبض لا وفاة موت ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ إلى السماء ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ وجاعل أتباعك المؤمنين ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فوق اليهود الكفار إلى يوم القيامة ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ شأن عيسى وأمره العجيب، حيث خلق من (أم) بدون أب كشأن آدم ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلق الله آدم من تربة الأرض من غير أب ولا أم، وقال له: كن فكان، فالقادر على خلق آدم، قادر على خلق عيسى ﴿النَّبِيِّينَ﴾ الشاكين في عظمة الله وقدرته ﴿ثُمَّ نُنَبِّئُكَ﴾ نتضرع إلى الله، وندعوه أن يلعن الكاذب منا، ولما دعاهم للمباهلة امتنعوا، وقبلوا دفع الجزية، وفي امتناعهم عن الملاعة أعظم شاهد على صدق نبوته ﷺ.

عقيدتنا في المسيح: اعتقادنا نحن المسلمين بأن عيسى (حي في السماء) لم يمِث ولم يُصلب، وأنه سينزل في آخر الزمان، ليحكم بشريعة محمد ﷺ وقد رَفَعَهُ الله إلى السماء بروحه وجسده، وأما زعمُ بعضهم أنه توفي ثلاث ساعات ثم رُفِعَ، لقوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ فزعمُ باطل، كما وَضَّحَهُ الْمُحَقِّقُونَ، قال القرطبي: والصحيح أن الله رَفَعَهُ إلى السماء، من غير وفاة ولا نوم، والآية إنما تشير إلى استكمال عيسى لأجله، ثم وفاته بعد انتهاء الأجل، اهـ. أقول: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ من التوفية لا من الوفاة، أي معطيك وما يَحْكُكُ كاملَ أجلك، كقوله سبحانه: ﴿فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتُوبُ الْمُضِلُّونَ أَرْبَعًا بَعْدَ حِسَابٍ﴾.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الطَّائِفَةُ

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
 قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
 أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
 بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي
 إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءَ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
 عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
 حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ
 بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَفِيُّ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
 وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَتَاهَلُ
 الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ الأخبار الصادقة التي لا شك فيها ﴿كَلِمَةً سَوَاءً﴾ كلمة وسط عادلة يكون فيها إنصاف بعضنا لبعض هي ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أن نعبد الله وحده ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ لماذا تخاصمون وتجادلون في شأن إبراهيم؟ فتقولون: إنه يهودي أو نصراني؟ ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ ما حدثت هذه الأديان إلا من بعده بقرون طويلة؟ وهذا ردٌّ على مزاعم اليهود والنصارى الباطلة، حيث زعموا أن إبراهيم كان منهم وعلى دينهم، فكيف يكون على دينهم، ولم يكن في زمانهم؟ ﴿حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ جادلتم في شأن عيسى وقد عشت زمانه ﴿لَوْلَمْ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فلماذا تجادلون في أمر إبراهيم، ولم تذكروا زمانه؟ أفليست هذه حماقة وسفاهة؟ ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ مانلاً عن

الأديان إلى الدين القيم دين الإسلام ﴿أَوَّلَى النَّاسِ﴾ أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أتباعه المؤمنون ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء ﷺ والمؤمنون من أتباعه.

روي عن ابن عباس أن أحبار اليهود، ونصارى نجران، اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا في شأن إبراهيم، فقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ فأكذبهم جميعاً، وفي قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ سخرية بقولهم وإزراء، إذ كيف يكون على دين اليهودية أو النصرانية، وهو عليه السلام قبلها بأزمان؟ أفليست هذه سفاهة وحماقة؟

الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمْنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمْنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآفَكُوا ءَأَخْرَجَهُم
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِن
الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكم
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْضَعُ رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأْمَنُوا بَقِطَارٍ
يُؤَدِّهِ إِلَيْكُم مِّنْهُمْ مَن إِنْ تَأْمَنُوا بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكُم إِلَّا
مَادُمَت عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ
سَكِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَى مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا
خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ لماذا
تخلطون بين الحق والباطل
بالتحريف والتزوير؟ ﴿وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ﴾
تخفون ما في التوراة والإنجيل من
أوصاف محمد ﷺ وأنتم تعلمون
حقيقة رسالته ﴿طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾ جماعة من اليهود ﴿وَجْهَ
النَّهَارِ﴾ أول النهار ﴿وَأَفَكُوا﴾ افكروا
افكروا بالإسلام في آخر
النهار ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
ليشكوا في دينهم ويرجعوا
عنه، وهذه مكيده خبيثة من اليهود
حيث تأمروا أن يظهر الإسلام في
أول النهار، ثم يرجعوا عن الإسلام
في آخر النهار، ليشكوا ضعفاء
الإيمان في دين الإسلام ﴿تَبَعَ
دِينَكُمْ﴾ لا تصدقوا أحداً إلا إذا كان
يهودياً على دينكم، ومرادهم لا
تؤمنوا برسالة محمد لأنه ليس على
دينكم ﴿يَخْضَعُ رَحْمَتِهِ﴾ يخضع
بالنبوة من شاء من عباده ﴿مَادُمَتْ

عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ ملازماً له تطالبه وتلاحقه ﴿الْأُمِّيَّتِ سَكِيلٌ﴾ ليس علينا حرج ولا إثم في أكل أموال العرب
﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ يكذبون على الله في هذه المزاعم الباطلة ﴿لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾ لا نصيب لهم من رحمة
الله ورضوانه ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يطهرهم من دنس المعاصي والفجور.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ هذا من تنمة كلام اليهود، بعضهم لبعض، حكاة الله
عنهم لتذكيرنا بعصبيتهم الدينية، يقولون: لا تصدقوا أحداً إلا إذا كان على دينكم، وليست كما
يظن البعض توجيهاً ربانياً للمؤمنين، ألا يثقوا ويطمئنون لأحد إلا إذا كان مسلماً!!

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الْبَائِثَاتِ

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَيقًا يُقَالُونَ آتَيْنَتْهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَغِينَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿يَقُولُونَ آتَيْنَتْهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يفتلون ألسنتهم ويُميلونها عن اللفظ الصحيح إلى التحريف والتزوير ﴿لَتَنْصُرُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ لتظنوا أن هذا المحرّف من كلام الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وليس من كلام الله إنما هو بهتان وزور ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ يكذبون على الله متعمدين التحريف والتبديل، ارتكبا جريمتين: جريمة التحريف لكلام الله، وجريمة الكذب على الله ﴿مَا كَانَ لِلْبَشَرِ﴾ لا يصح ولا يُتصور لأحد من البشر، أوحى الله إليه بكتاب منزل، وجعله نبياً مرسلًا ﴿كُونُوا عِبَادًا لِي﴾ أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله، وهذا ردّ على النصارى الذين زعموا أن عيسى دعاهم إلى عبادته ﴿كُونُوا رَبَّيْنَغِينَ﴾ ولكن يدعوهم إلى أن يكونوا علماء حلماء، منسوبين إلى الربّ جلّ وعلا ﴿تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ

وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ ولا يمكن للنبي المرسل، أن يدعو أحداً إلى عبادة الملائكة والأنبياء ﴿بِإِسْرَافٍ﴾ عهدي طائعين ومكرهين.

قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد، لئن أدرك محمداً وهو حيّ أن يؤمن به وينصره، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته.

شرف عظيم لرسول الله ﷺ، لم ينله أحد من الأنبياء قبله، أن يأخذ الله العهد على جميع الأنبياء والمرسلين، أنهم إن أدركوا حياة خاتم الأنبياء، أن يؤمنوا به وينضوا تحت رايته ولوائه، وأن يكونوا من أنصاره وأتباعه، وقد أشهدهم الله على هذا (العهد والميثاق) وشهد بنفسه عليه ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ويا له من شرف عظيم لسيد المرسلين ﷺ!!

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الْمِيزَانُ

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا
أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ يعقوب والد يوسف الصديق ويسمى «إسرائيل» والأسباط: هم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد يعقوب ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ لا نؤمن ببعض الرسل ونكفر بالبعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ من يطلب ديناً غير دين الإسلام ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ لن يتقبل الله غير دين الإسلام ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ مصيره إلى النار المؤبدة خالداً مخلداً فيها أبداً، وفي الحديث: والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هؤلاء يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار. رواه مسلم ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ جاءتهم المعجزات والبراهين الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ ﴿يُنْظَرُونَ﴾ لا يُمهلون ولا يؤخرون لحظرة واحدة ﴿كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ماتوا على الكفر ولم يتوبوا

﴿وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ﴾ لن يقبل من أحدهم فدية، ولو افتدى بمثل ملاء الأرض من الذهب، وفي الحديث: يقال للرجل من أهل النار: لو كان لك ما على الأرض أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول الله له: قد سألتك ما هو أهون من ذلك، سألتك أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا الشرك. رواه مسلم. النص القرآني القاطع، أن بعد مجيء الإسلام، خاتم الأديان السماوية، لا يقبل الله ديناً سواه، كما أخبر سبحانه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فمن زعم أن اليهودي إذا تمسك بيهوديته، وبالتوراة، والنصراني إذا بقي معتقاً لنصرانيته، وطبق أحكام الإنجيل، يدخل الجنة مع المسلمين، كذب وضلال، يرده النص الصريح القاطع.

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ لن تصلوا إلى درجة الأبرار، ولن تنالوا وجوه الخير والإحسان ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ حتى تنفقوا من أفضل أموالكم وأحب الأشياء إليكم ﴿كَانَ جَلَدُ نَبِيِّ إِسْرَءِيلَ﴾ كل الأطعمة كانت حلالاً لأولاد يعقوب ﴿وَلَا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلَ﴾ إلا ما حرّمه يعقوب على نفسه وهو (لحم الإبل والبانها) حين مرض به عزقي النساء فنذر ألا يأكلها، ثم حرمت على بني إسرائيل أنواع من الأطعمة عقوبة لهم على جرائمهم ﴿قُلْ قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ قَاتِلُوهَا﴾ اتنوني بالتوراة واطروها علي ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنها لم تُحرّم عليكم بسبب معاصيكم ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أول مسجد ومعبد في الأرض ﴿مُوضِعَ لِلنَّاسِ﴾ بُنِيَ لعبادة الله ﴿لِلَّذِي يَبْغِي الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي هُوَ بِمَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ ذا بركة وفضل وعظمة

﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ مصدر هداية ونور لأهل الأرض ﴿مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الحجر الذي وقف عليه حين بنى الكعبة المشرفة ﴿تَعْبُودَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون أن يكون دين الله معوجاً غير مستقيم، وأنتم تعلمون أن الإسلام هو الدين الحق.. عبّر سبحانه عن ترك الحج بالكفر ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ تغليظاً وتشديداً، للتنبيه على أن من ترك هذه الفريضة، وهو قادر على أدائها، يوشك أن يقع في الكفر، كما أنه ذكر من مزايا هذا البيت ثلاثة وجوه: الأول: أنه أول المساجد على الإطلاق. الثاني: ما خصّه به من وجوه الفضل، مقام إبراهيم، وزمزم والحطيم، والصفاء والمروة، والحجر الأسود وغيرها. الثالث: إكرام من دخله بالأمن والاستقرار ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الْبُرْجِ

لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَنْ يُنْفِقْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّكَ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ قَاتِلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلٍ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَاهُلِ الْكِتَابِ لَمْ يَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَاهُلِ الْكِتَابِ لَمْ يَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَتَاهُلِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿١٠٠﴾

الجزء الرابع

سورة التوبة

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾
وَلَنْ تَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ
اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ يستمسك بشريعته
ودينيه ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
وُفِّقَ لكل خير واهتدى لطريق الجنة
﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ تقوى حَقَّةً صادقةً
بامتثال أوامره، واجتناب
نواهيه، قال ابن مسعود: بَأَن
يُطَاعَ فلا يُعصى، ويُشكر فلا
يُكفر، ويذكر فلا ينسى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ استمسكوا
بالإسلام حتى يدرركم الموت
فتموتون عليه ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
اللَّهِ﴾ بدينه وكتابه، شبه القرآن
بحبلٍ من تعلق به نجا، ومن تركه
هَلَكَ ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ على
طرفِ حفرةٍ عميقة يوشك أن يقع
بها ﴿اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ سواد
الوجوه علامة أهل النار ﴿أَبْيَضَتْ
وُجُوهُهُمْ﴾ هم المؤمنون الأبرار
تشرق وجوههم بالنور التام يوم
القيامة ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ في الجنة
التي هي مكان تنزل رحمة الله،

وهو كما يقول المفسرون، من باب (إطلاق الصفة وإرادة الموصوف) فالجنة دار الكرامة،
ومكان تنزل الرحمة الإلهية.

سبب نزول هذه الآيات: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ ما ألقاه بعض الخبءاء (اليهود) من فتنة
بين الأنصار، فقد مرَّ عليهم (شاس بن قيس) اليهودي، فرأهم في مجلس يتحدثون، فغاضه ذلك، فأرسل
إلى شاب من اليهود خبيث، فقال: اذهب إليهم فذكرهم بيوم بُعث، وما كان بينهم من الهجاء، فألقي
بينهم الفتنة، حتى تداعوا إلى السلاح، ووصل الخبر إلى رسول الله ﷺ فأسرع نحوهم وهو يقول: يا
معشر الأنصار أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ فألقوا السلاح وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً،
وأُنزل الله هذه الآيات، رواه ابن جرير، وانظر كامل القصة في تفسير الشوكاني.

سُورَةُ التَّحْوِيلِ

الجزء الرابع

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٢٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ وَلَا أَذَىٰ وَلَوْ بَقِيْتُمْ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ تَلَاوُذٌ لَّكُمْ يَوْمَئِذٍ الْأَذْبَارُتُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِعَقَابِ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكُمْ يَأْنِهِمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٢٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ لِّئَلَّ يُفْقَهُوا وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٢٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٢٥﴾



الجزء الخامس

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أنتم يا أمة محمد خير الأمم، وأنفعهم للناس، تخرجونهم من ظلمات الكفر، إلى نور الهداية والإيمان، روى البخاري عن أبي هريرة قال: «خير الناس للناس، تاتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام» ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة الله ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ وَلَا أَذَىٰ﴾ إلا ضرراً يسيراً بالسنتهم من سبّ وطعن ﴿يَوْمَئِذٍ تَلَاوُذٌ لَّكُمْ﴾ ينهزمون أمامكم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ لزمهم الذل والهوان ﴿وَيَنْتَفِعُوا﴾ أينما وجدوا في أي مكان وزمان ﴿وَلَا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ﴾ عهد من الله ﴿وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ﴾ عهد من المسلمين أو غيرهم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ لزمتهم الفاقة والخنوع ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ ليس أهل الكتاب مستوين في المساوي ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ طائفة مستقيمة على الحق ﴿بِاللَّهِ﴾

﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ ساعات الليل وأوقاته ﴿لَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ لن يحرموا ثوابه، بيّن تعالى أن أهل الكتاب، فيهم المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، والآية نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، من أحبار اليهود، وعلماء النصارى.

تبصير وتذكير: هذه الأمة المحمدية (أمة رسالة) وأمة إنقاذ، حملها الله رسالة إنقاذ البشرية، من ظلمات الجهل والكفر، وهي أفضل الأمم بالنصّ القاطع ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أي أخرجت لخير الناس، وإنقاذهم من براثن الضلالة، وقد قال ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله» رواه أحمد.

الحجرات

سورة الحجرات

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
 مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
 صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثٌ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
 ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبْرًا
 وُدًّا وَآمَنَتْكُمْ فَدَبَّتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى
 صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
 هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
 وَإِذَا الْقَوْمُ قَالُوا أَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ إِلَّا نَائِلٌ
 مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا يَعِظُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
 إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا
 بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
 إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
 بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدٌ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿ريـح فيها صـر﴾ كمثل ريح شديدة
 عاصفة فيها بردٌ شديد ﴿حرث﴾
 قورٍ ﴿أصابـت زرع قوم﴾
 ﴿ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصي
 ﴿فأهـلكتـه﴾ دمـرتـه وأتلفته، شبه
 تعالى ما أنفقوه في سبيل
 المفاخر والثناء، بالزرع الذي
 أصابته الريح العاصفة الباردة
 المدمرة فأفسدته وأتلفته
 ﴿بطانـة﴾ أصدقاء تودونهم
 وتطلعونهم على أسراركم ﴿لا
 يأتونكم خبـراً﴾ لا يقصرون في
 إيذانكم ﴿ودوا ما عيـنتم﴾ تمنوا لكم
 ما يوقعكم في المشقة ﴿دبت
 البغـضاء﴾ ظهرت أمارات العداوة
 لكم على ألسنتهم ﴿وما تخفى
 صـدورهم أكبر﴾ وما يبطنونه لكم
 من البغضاء أكثر ﴿عصوا عليكم
 الأنـاءل﴾ الأنامل: أطراف
 الأصابع، والآية فيها تمثيل

لشدة الغيظ والحق على المسلمين ﴿غدوت﴾ ذهبـت أول النهار ﴿بـيوت﴾ تنزل وتوطن ﴿مقعد﴾
 أماكن لقتال أعدائهم في غزوة أحد، وقد انتصر المسلمون ثم انهزموا لمخالفتهم وعصيانهم أمر
 الرسول ﷺ، ثم أعاد الله لهم النصر على الأعداء، وهو درسٌ بليغ للمسلمين، أن لا يخالفوا
 شيئاً من أوامر الله، وأوامر رسوله، فإن المعاصي تُهْلِكُ الإنسان، وتجلب له الشقاء والبلاء،
 كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾.

أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب أنه قال: (كان يومٌ أحد يومٍ بلاءٍ وتمحيصٍ، اختبر
 به المؤمنين، ومَحَقَّ به المنافقين، وأكرم فيه من أراد كرامته بالشهادة، ونزل في يومٍ أحد ستون
 آية من آل عمران).

سُورَةُ التَّوْبَةِ

التَّوْبَةِ

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا اللَّهَ وَلِيَهُمَا وَعَلَى
 اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ
 أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
 أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ
 هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
 ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرًا لَّكُمْ وَلِيُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا
 أَلْصَقَ إِلَّا مَن عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
 مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
 مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
 ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
 وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
 ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿هَمَّتْ طَائِفَتَانِ﴾ كادت طائفتان من جيش المسلمين ﴿أَنْ تَفْشِلَا﴾ أَنْ تَجْبِنَا وَتَضَعِفَا عَنِ الْقِتَالِ، وَهَمَّ «بنو سلمة» و«بنو حارثة» قال جابر: فبينا نزلت هذه الآية، وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله ﴿وَاللَّهُ وَابِتٌ﴾ رواه البخاري ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ نصركم ببدر مع قلة الرجال وال سلاح ﴿أَنْ يُمِدَّكُمْ﴾ يقوِّيكُم ويعينكم ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا﴾ بلى يمدكم بشرط الصبر، وتقوى الرحمن ﴿مِّنْ فَوْرِهِمْ﴾ من ساعتهم ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلمين ومدربين على السلاح ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يخزيهم ويذلُّهم بالهزيمة ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ليس لك من أمر العباد شيء، بل الأمر كله لله، لَمَّا كُسِرَت رِبَاعِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَشَجَّ وَجْهُهُ الشَّرِيفُ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ، قَالَ ﷺ: «كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا

بَنِيهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ يرجعوا أذلاءً مخذولين ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا﴾ لَا تَأْخُذُوا الرِّبَا بِطَرِيقِ الظُّلْمِ الصَّارِخِ، كَانُوا إِذَا كَانَ أَحَدُهُمْ لَهُ عَلَى إِنْسَانٍ مَّائَةٌ، وَحَانَ الْأَجَلُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ وَفَاءٌ لِلدِّينِ، قَالَ الدَّائِي لِلْمُسْتَدِينِ: زِدْنِي فِي الْمَالِ، وَأَزِيدَكَ فِي الْمَدَةِ!! فَرُبَّمَا جَعَلَ الْمِائَةُ مِائَتَيْنِ، ثُمَّ إِذَا حُلَّ الْأَجَلُ الثَّانِي زَادَ، حَتَّى تَصْبِحَ الْمِائَةُ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً، وَهَذَا مَا يَسْمَى فِي زَمَانِنَا بِ (الْفَائِدَةِ الْمَرْكَبَةِ) وَالْآيَةُ لَيْسَتْ لِلْقَبْدِ، بَحِثْ تَصْبِحُ جَائِزَةً إِذَا لَمْ تَكُنْ مُضَاعَفَةً، وَإِنَّمَا هِيَ لِلتَّقْبِيحِ وَالتَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ وَصَلَ بِهِمُ الْجَشْعُ وَالطَّمَعُ، إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْمُتَنَاهِيَةِ فِي الظُّلْمِ، وَأَكَلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.

المجادلة

سورة المجادلة

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٢) الَّذِينَ يَفْقَهُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٢٣) وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فِتْنَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَىٰ
مَافَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٢٤) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ بَحْرِي مِّن تَحْتِهَا أَلَّا نَهْرُ خُلْدِيكَ
فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَافِينَ (١٢٥) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ
(١٢٦) هَذَآ بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٢٧)
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ
(١٢٨) إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ
وَلَئِكَ الْآيَاتُ لِنَاسٍ لَّا يَفْقَهُونَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٢٩)

﴿وَسَارِعُوا﴾ بادرُوا إلى ما
يوجب لكم المغفرة من
ربكم، بطاعته والجهاد في سبيله
﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ وجنّة
فضيعة واسعة، عرضها كعرض
السموات والأرض ﴿أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ هيئت لكل من اتقى الله
﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في البسر
والعسر ﴿الْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾ يحسون
غبطهم، مع قدرتهم على الانتقام
﴿فِتْنَةً﴾ معصية كبيرة متناهية في
القبح، كالزنى ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾
يفعل أي ذنب ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾
طلبوا من الله أن يعفو عن زلّتهم
﴿خَلَّتْ﴾ مضت وانقضت ﴿سُنَنٌ﴾
وقائع وأحداث الأمم المكذبة
﴿عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ انظروا ماذا
حدث لهم من أنواع الهلاك
والدمار؟ لتعتبروا ﴿فَرَحٌ﴾ إن
أصابكم قتل، أو جراح ﴿مِثْلُهُ﴾
يشبهه ﴿أَصَابَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلُ مَا

أصابكم من الشدائد ﴿شَآءَ وَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ نصرّفها بين العباد، يوم لكم يوم عليكم، والأيام لا تدوم
على حال.

تنبيه: أمر تعالى بالمسارعة والمبادرة في أمور الطاعة والعبادة ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي إلى ما يوجب لكم المغفرة من ربكم، كما قال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْعَزَابَ﴾ ﴿وَفِي
ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فأمور الآخرة ينبغي فيها التنافس والتنافس، أمّا أمور الدنيا فتكون
بالهؤنّى، من غير استعجال ولا تسابق، قال سبحانه: ﴿جَعَلْ لَّكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا﴾.

سُورَةُ الْكَافِرِينَ

الْبَيْتُ الرَّابِعُ

وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبُواْ مُوَجَّلًا وَمَن يَرُدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنهَا وَمَن يَرُدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ فَأَمَّا وَهْنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ﴾ يُنْقِبُهُمْ وَيَطَهِّرُهُمْ من الذنوب والآثام ﴿وَيَمَحَقُ الْكَافِرِينَ﴾ يهلك ويستأصل الكفار ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ هل تظنون أن تدخلوا الجنة دون ابتلاء واختبار؟ ﴿جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ولم يتبين ولم يتميز المجاهد منكم، من المتعاس عن الجهاد ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ عند الشدائد ﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ تشتبهون لقاء الأعداء لتظفروا بالشهادة ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ حين شارفتكم على الموت، وقُتل من قُتل من إخوانكم؟ والآية عتاب في حق من انهزم ﴿خَلَّتْ﴾ سبق قبله رسلٌ كثيرون ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم كفاراً بعد إيمانكم؟ ﴿كَذَبُواْ مُوَجَّلًا﴾ محدداً بوقت معلوم ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ كثير من الأنبياء قاتلوا لإعلاء كلمة الله ﴿رَيْثُونٌ كَثِيرٌ﴾ وقاتل معهم علماء ربايون، وعُبادٌ صالحون

﴿فَتَا وَهْنُوا﴾ ما ضَعُفُوا ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ وما ذَلُّوا لأعدائهم، والآية تشجيع للمؤمنين على الصبر والبات، وقد قال ﷺ: «لا تَمَنَّوْا لقاء العدو، فإذا لقيتموه فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» رواه البخاري ومسلم.. نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ لَمَّا قال المشركون في (غزوة أحد): إن محمداً قد قُتل، ودبَّ الضعف إلى قلوب بعض المسلمين، فقال المنافقون: إن كان محمد قد قُتل، فعمالوا نرجع إلى ديننا الأول!! وقال (أنس بن النضر): يا قوم إن كان محمد قد قُتل، فإن ربَّ محمد حي لا يموت، وماذا تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ فنزلت الآية عتاباً لبعض المسلمين من ضعفاء الإيمان!

الجزء الرابع

سورة التوبة

يَتَّيْنَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يُرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ اَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٨﴾
بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٤٩﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا اَشْرَكُوا بِاللّٰهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ
وَعْدُهُ اِذْ تَحْسُونَهُمْ بِاِذْنِهِ حَتّٰى اِذَا فُشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْاَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْۢ بَعْدِ مَا اَرٰىكُمْ
مَّا تَحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّنۢ يُّرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ
مَّنۢ يُّرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥١﴾ اِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلٰى اَحَدٍ
وَالرُّسُولُ يَدْعُوَكُمْ فَاُخْرِضَكُمْ فَاُثْبِتْكُمْ
عَمَّا يَفْعَلُ لِكَيْلَا تَحْزَنُوْا عَلٰى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَا اَصَابَكُمْ وَاللّٰهُ خَيْرُ رِيْمًا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾

﴿اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ الكفار ليسوا
أنصاراً لكم، بل الله ناصركم
ومتولي شؤونكم، فاطيعوا أمره
﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فلا تستنصروا
بغيره ﴿كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ سنقذف في
قلوبهم الخوف والفرع ﴿بِمَا
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ بسبب كفرهم
وإشراكهم بالله ﴿وَمَا لَهُمْ النَّارُ﴾
مسكنهم ومستقرهم نار جهنم
﴿مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ وبئس
مسكناً لهم ﴿تَحْسُونَهُمْ﴾
نحصدونهم يسوقكم، وتقتلونهم
قتلاً ذريعاً، بإرادته تعالى وأمره
﴿فُشِلْتُمْ﴾ جئتم وضعفتم
عن عدوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾
ليمتحن صبركم وثباتكم
﴿اِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تُبْعِدُونَ في الأرض
هاربين ﴿وَلَا تَكُونُ عَلٰى اَحَدٍ﴾
ولا يلتفت بعضهم لبعض،
لإمعانكم في الهزيمة ﴿وَالرُّسُولُ
يَدْعُوَكُمْ﴾ يناديكم من وراءكم

يقول: إِلَٰهِيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِلَٰهِيَّ عِبَادَ اللَّهِ!! ﴿فَاُثْبِتْكُمْ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ جازاكم غمّاً بالهزيمة، بسبب غمكم
لِلرُّسُولِ ﷺ بالمخالفة لأمره، جزاءً وفاقاً، فما أصابكم من همٍّ وغمٍّ، كان جزاءً على صنيعكم.
قال ابن مسعود: كان النساء يوم أحد خلف المسلمين، يُجْهَزْنَ على جرحى المشركين، فلو
حلفت يومئذٍ أن أحداً مثلاً لا يريد الدنيا، لكننت باراً بيمينني، حتى أنزل الله ﴿وَمِنْكُمْ مَّنۢ يُّرِيدُ
الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنۢ يُّرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ ولم يبق مع النبي ﷺ إلا تسعة نفر، وأشاع المشركون أن
محمدًا قد قُتِلَ، واستشهد حمزة في تلك الغزوة، وحزن عليه النبي حزناً شديداً.

﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ أرسل عليكم النعاس

بعد ذلك الغم الشديد للأمان

والسكينة ﴿يَقْنَنَ طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾

يصيب فريقاً منكم ﴿أَهْمَتَهُمْ

أَنْفُسَهُمْ﴾ وجماعة أخرى - وهم

المنافقون - شغلهم هم نجاة أنفسهم

فلم ينأموا ﴿عَنِ الْمُنَافِقِينَ﴾ الظن

السئ أن الرسول قد قُتل، وأن

الإسلام لن تقوم له قائمة ﴿هَذَا

لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلِ﴾ ليس لنا من الأمر

شيء، ولو كان لنا اختبار ما

خرجنا لقتال، ولكن أكرهنا

للخروج ﴿مُتَحِجِّينَ﴾ لولم

تخرجوا من بيوتكم، لخرج الذين

قَدَّرَ اللَّهُ عليهم الموت إلى

مصارعهم، فالحذر لا يُغني عن

القدر ﴿اسْتَرْلَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أوقعهم

الشیطان في الخطيئة والزلة

بوسوسته ﴿أَوْ كَانُوا غُرَرًا﴾ غزاة

مجاهدين في سبيل الله ﴿حَسْرَةً فِي

قُلُوبِهِمْ﴾ ألماً وكمداً على الذين

ماتوا في المعركة، والموت لا يمنع منه قعود، سواء قعد الإنسان في بيته، أو خرج مجاهداً في سبيل الله. !

درس وتذكرة: كانت غزوة أحد درساً بليغاً للمسلمين، فقد كان النصر حليفهم بادئ الأمر، ثم جاءتهم الهزيمة بسبب عصيانهم لأمر الرسول ﷺ. . . روي أن النبي ﷺ في (غزوة أحد) وضع خمسين من الرماة فوق الجبل، وقال لهم: لا تبرحوا أماكنكم ولو رأيتمونا تخطفنا الطير!! فلما التقى الجيشان، لم تقوَ خيل المشركين على الثبات أمام سهام المسلمين فانهمزوا، فلما رأى الرماة ذلك، تركوا الجبل وقالوا: الغنيمة الغنيمة، فجاءهم المشركون من خلف الجبل، وانقلب النصر إلى هزيمة.

سورة التوبة
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَرًا يَوْكُنُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُكَيِّدُ وَاللَّهُ يُعَاتِمِلُونَ بِصِيرٍ ﴿١٥٦﴾ وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

وَلَكِنْ مَتَّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَّ اللَّهُ تَحْشُرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ
 اللَّهُ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ
 فَأَعَفَّ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ
 فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ
 بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
 يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوْفَى كُلُّ
 نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمِنْ رِضْوَانِ
 اللَّهِ كُنَّا بَاءً بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
 ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
 لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
 يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾
 أَوْلَمَّا أَصَبَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْنَا أَمَّا هَذَا
 قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ﴾ وسواء استشهدتم في الحرب والجهاد، أو مِتُّم على فراشكم ﴿لِيَّ اللَّهُ تَحْشُرُونَ﴾ مرجعكم إلى الله فيجازيكم على أعمالكم ﴿فِيمَا رَحِمَهُ﴾ «ما» صلة للتأكيد أي فبسبب رحمة عظيمة أودعها الله في قلبك، كنت حيناً لتباً مع أصحابك ﴿قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ ولو كنت جافى الطبع قاسي القلب، تعاملهم بالجفاء والغلظة ﴿لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرق أصحابك عنك ونفروا منك ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ لا يمكن لأحد أن يغلبكم ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ وإن أراد تعالى إذلالكم وترك نصركم فمن الذي يستطيع نصرتكم؟ ﴿يَغْلُ﴾ يخون في الغنمة ﴿بَاءً بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ رجع بغضب شديد من رب العزة والجلال ﴿وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ﴾ مسكنه ومصيره نار الجحيم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أنعم عليهم بأعظم نعمة وهي بعثه السراج المنير محمد ﷺ ﴿قُلْنَا أَمَّا هَذَا﴾ أي من أين جاءتنا هذه الهزيمة؟ قل لهم: سبب الهزيمة هو أنتم، بسبب مخالفتكم لأمر الرسول ﷺ.

مديح وثناء: هذه الآية الكريمة: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ ثناء من الله عظيم، على نبيه الكريم، وإشادة بالقيادة الحكيمة، فمع مخالفة بعض أصحابه لأوامره، وسعهم بخلقه الكريم، وقلبه الرحيم، ولم يجابهم بالغلظة والشدة، وإنما خاطبهم باللطف واللين، ولذلك اجتمعت القلوب حول دعوته، وتوحدت تحت قيادته، ولو حصل مثل هذه المخالفة مع بعض قواد عصرنا، لأمر بشنقهم أو حرقهم لأنهم سببوا الهزيمة للجيش، فما أكرمه من ثناء على سيد الأنبياء، من رب العزة والجلال.!

﴿يَوْمَ اتَّخَفَى الْجَمْعَانِ﴾ يوم التقى جمع المسلمين وجمع المشركين في أحد ﴿فَيَاذَنَّا﴾ بإرادته وتقديره ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ ليعلم أهل النفاق وكانوا نحو رجل، رجعوا إلى المدينة، ولم يقاتلوا مع المسلمين، وقالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ لقائلنا معكم ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يُظهرون خلاف ما يُبطنون ﴿فَادْرَأُوهُ﴾ ادفعوا الموت عن أنفسكم إن كان عدم الخروج يُنجي من الموت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ لا تظننَّ أنهم أموات ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ بل هم أحياء يتنعمون في الجنان، نزلت في شهداء أحد حين قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أننا عنكم؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، ﴿أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ كثرة الجراح في أعقاب غزوة أحد، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الخروج للأعداء في (حمراء الأسد) على ما

يَوْمَ اتَّخَفَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَّا لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوَْادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كُتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

بهم من الجراح والإثخان، فاستجابوا لأمر الله ورسوله، ومن رحمة الله أنه لم تقع معركة بينهم وبين المشركين، لأن الله ألقى في قلوب الأعداء الخوف والفرع، فلم يرجعوا للقتال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ الآية نزلت في شهداء أحد، فقد قال ﷺ: «لَمَّا أَصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كُلُّهُمْ، وَمَشْرِبَهُمْ، وَمَقِيلَهُمْ، قَالُوا: مَنْ يَبْلُغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ؟ لَثَلَا يَزْهَدُوا فِي الْجَنَّةِ، وَلَا يَنْكَلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أْبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ قَوْلَهُ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾» رواه أبو داود، وأحمد.

الجنة الزانية

سورة التوبة

فَأَنقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧١﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسْتَرْعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنِ يُضْرُوا بِاللَّهِ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطْلًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنِ يُضْرُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٥﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تَوَلَّوْا تَنَقَّبُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمُ أَنَّ لَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرُّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿فَأَنقَلِبُوا﴾ رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر والثواب ﴿لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ﴾ لم ينلهم مكروه ولا أذى ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ نالوا رضى الله عز وجل ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ يخوفكم أوليائه الكفار ليضعف قواكم ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ لا ترهبوهم فإني متكفل لكم بالنصر عليهم، وخافوني أن تعصوا أمري متهلكوا ﴿يَسْتَرْعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يتسابقون نحو الكفر مسرعين، كأنهم في ميدان سباق ﴿حِطْلًا فِي الْآخِرَةِ﴾ يريد تعالى أن يحرمهم من نعيم الجنة بنفاقهم وكفرهم ﴿نُمَلِّ لَهُمْ﴾ نمهلهم ونؤخر آجالهم ﴿لِيَزدَادُوا إِثْمًا﴾ ليكتسبوا الجرائم فيزداد عذابهم ﴿لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لن يترك المؤمنين على حالهم، دون ابتلاء وتمحيص ﴿يَمِيزَ لِّلْغَيْبِ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يفصل بين المؤمنين والمنافق ﴿يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ﴾ يُطْلِع بعض رُسُلِهِ على أخبار

المنافقين، بواسطة الوحي ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ يجعل لهم طوق في عنقهم وفي الحديث: «من آتاه الله مالا فلم يودّ زكاته، مثّل له ماله شجاعاً أقرع. أي حبة ضخمة. يطوقه يوم القيامة، ويقول: أنا مالك، أنا كنزك، وتلا ﴿وَاللَّهُ أَكْرَمُ﴾ الآية الكريمة ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ رواه البخاري. . هذا طرف من عقوبة مانع الزكاة، نسأل الله الحفظ والسلامة ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني إنهم سيموتون، والله هو الوارث لما في أيديهم، فما لهم يبخلون عليه بملكه، ولا ينفقون في سبيله؟! ﴿تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ والله هو المطلع على أعمال عباده وسيجازيهم عليها.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ هم اليهود اللعناء سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُعْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فقالوا: لو كان غنياً ما استقرض ﴿سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا﴾ سنامر الحفظة بكتابة ما قالوه في صحائف أعمالهم ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ ونكسب جريمتهم الشنيعة بسفكهم دماء الأنبياء ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ذوقوا عذاب النار الشديدة الإحراق ﴿عَهْدَ ابْنَيْنَا﴾ أوصانا في التوراة ﴿يَأْتِينَا بَقْرَانِ﴾ أن لا نصدق رسولا حتى يأتينا بقران وتنزل نار من السماء فتأكله!! وهذا منهم افتراء على الله ﴿يَا بَلِيغَتِ﴾ بالمعجزات الباهرات ﴿قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ فلم تقتلتموهم إن كنتم صادقين في دعوكم الإيمان؟ ﴿يَا بَلِيغَتِ وَالزُّبُرِ﴾ جاءوا بالمعجزات والصحف المملوءة بالمواعظ ﴿رُحْنِي عَنِ النَّكَارِ﴾ أبعد عن نار جهنم ونجا من عذابها ﴿مَتْنَعُ الْغُرُورِ﴾ الاستمتاع الباطل الخادع الذي لا يدوم ﴿تَتْلُونَ﴾ لتمتحن وتختبر بأنواع المحن والشدائد، في أموالكم بالفقر والمصائب، وفي أنفسكم بالأمراض والأسقام.. نزلت هذه الآية ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ في أحد أحبار اليهود (فُتْحَاصُ بْنُ عَازُورَاءَ) دخل عليه «أبو بكر» ودعاه إلى الإسلام، فقال فُتْحَاصُ: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، يطلب منا أن نقرضه، ولو كان غنياً ما استقرض!! فغضب أبو بكر وضرب وجهه ضربة شديدة، وقال: والله يا عدو الله، لولا العهد لضربت عنقك، ففيه نزلت ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم. تفسير ابن كثير.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ ابْنَيْنَا إِلَّا نَوْمُكَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقْرَانِ تَأْكُلُهُ الْأَنْبَارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَابَلِغَتِ وَيَالِذِي قُلُوبِكُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا يَابَلِغَتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْأَمْنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْصَةِ فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ تَتْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ نَصَبُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

الْحَرْبِ
الْحَرْبِ
الْحَرْبِ

الجزء الرابع

سورة التوبة

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآئِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿١٩٤﴾

﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أخذ العهد المؤكد على اليهود في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ لتظهرن ما في التوراة من الأحكام الإلهية وأوصاف خاتم الأنبياء ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ طرحوا ذلك العهد ولم يبالوا به ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾ استبدلوا به شيئاً حقيراً من حطام الدنيا ﴿يَفْرَحُونَ﴾ يمتدحون من إخفاء الحق يحمدونهم الناس وهم على باطل وضلال، نزلت في اليهود سألهم رسول الله ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره ظناً منهم أن الرسول رضي عنهم وأعجب بكلامهم، ففيهم نزلت كما في البخاري ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ ببعيدة وخالص من العذاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾ دلائل وعلامات لأصحاب

العقول ﴿بَطْلًا﴾ عبثاً بدون حكمة ﴿فَقِنَا﴾ احمنا ونجنا من نار جهنم ﴿أَخْرَجْتَهُ﴾ أخرجته غاية الإهانة وفضحته ﴿وَأَعْدَتْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ ما وعدتنا به على ألسنة رسلك، ومرادهم أن يدخلهم الله الجنة دار المتقين.

نضرب دعاء: كرروا النداء بصيغة الدعاء (ربنا) خمس مرات، للتضرع وإظهار غاية الخشوع والتذلل، رغبة في استجابة الدعاء، وهذا توجيه من الله لعباده المؤمنين، أن يكثروا من الدعاء والتضرع، فإنه مفتاح الفرج والقبول ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ولهذا جاءت الإجابة العاجلة المشيرة لهم بعدها، بقوله سبحانه ﴿فَاسْتَجِبْ لَهُمْ رَدُّهُمْ إِنْ لَا أَصْبَحَ عَمَلٌ مِنْكُمْ مِنْ ذِكْرِ أَوْ

